البحوث والدراسات

الأعمال الفنية في الساحات والميادين: نماذج من الكويت وبعض البلاد الأخرى

د. علاء الدين علي شاهين*

ملخص:

تتناول هذه الدراسة واحداً من موضوعات تجميل المدن، ألا وهو استخدام الأعمال الفنية في تجميل الساحات والميادين. تعرض الدراسة لتجارب بعض الدول الأجنبية والخليجية، وذلك من خلال تحليل فني لتلك التجارب، وكذلك يرصد ميدانياً تجربة الكويت في هذا الصدد.

تطرح الدراسة عدة نقاط، منها: الفرق بين جمال المدن وتجميلها؛ التخصصات التي تشارك في تجميل المدينة؛ علاقة تخصص الباحث وهو التصميم الداخلي (الديكور) والفنون التشكيلية بوجه عام بموضوع الدراسة؛ العناصر الرئيسية والثانوية في تجميل المدن؛ تعريف الساحة والميدان وبعض الخلفيات، النصب التذكاري، بعض الإشكالات الخاصة بالتجميل وبالعمل الفني في البيئة الخليجية؛ دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات، منها أنه ينبغي على الجهات المعنية بدولة الكويت الاهتمام بالساحات والميادين العديدة الشاغرة، وتنويع الخدمات والنشاطات التي تقدمها للمواطنين، وتجميل واجهات المباني المطلة عليها، وانتقاء الأعمال الفنية المناسبة لها، والاستفادة من تجارب الدول صاحبة السبق في هذا المجال.

مقدمة:

جمال المدينة وتجميلها:

ينصرف لفظ الجمال – جمال المدينة أو المكان – ليستوعب كل عنصر

* أستاذ مشارك، كلية التربية الأساسية، قسم التصميم الداخلي، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، دولة الكويت.

يصنع الجمال في المدينة سواء كان عنصراً طبيعياً أم صناعياً، معنوياً أم مادياً، حديثاً أم قديماً، سياحياً أم دينياً، رمزياً أم صريحاً إلى كل صغيرة وكبيرة يتألف منها الجمال. قد توصف قرية صغيرة بالجمال أو جزيرة نائية وكذلك توصف مدينة عظيمة بناطحات سحابها وخطها المعماري المتميز "City Profile"، وقد توصف قطعة من الصحراء الجرداء بأحقافها وأديمها، وقد يوصف حي صغير أو منتجع سياحي أو ميدان أو نافورة أو مقعد في حديقة أو حتى سلة مهملات. فالجمال معنى كلي يستوعب ما لا حصر له من المفردات التي تصنع الجمال ومن ثم يستوعب معنى "التجميل".

أما التجميل فيقصد به تلك الأعمال الجمالية أو "الجمالية – الوظيفية" التي تنفذ عن عمد ومن شأنها تحسين شكل وأداء البيئة العمرانية في المدينة أو البلدة. وأول ما يتبادر إلى الذهن من هذه الأعمال أعمال التشجير وزراعة النباتات وزيادة كم المتنزهات والمناطق الخضراء Landscape Design، ولكن التجميل يشمل أيضاً الأعمال الفنية في الأماكن المفتوحة Public Artwork من منحوتات وجداريات، وعناصر الديكور والنافورات وأقواس النصر، وعناصر تأثيث و"فرش" الشارع Street Furniture: من أعمدة إضاءة إلى مقاعد ومظلات انتظار وشكل أرصفة وطريقة تبليطها وشكل تبليط مناطق إبطاء السير، ومناطق المشاة، إلى كل صغيرة وكبيرة يستلزمها تصميم هندسي أو فني، ويقصد بها أداء وظيفي أو جمالي.

وعادة ما تنصب جهود التجميل على الأجزاء الظاهرة من المدينة ومركزها التجاري أو التاريخي وشوارعها الرئيسية؛ وذلك لتعزيز الحركة السياحية أو النشاط التجاري وللارتقاء بمظهر المدينة الحضاري. وعلى قدر التطور العمراني للمدينة ووعي السلطات والمواطنين بثقافة التجميل، وعلى قدر الإمكانات المالية المخصصة لهذا الشأن يكون مستوى التجميل ومستوى الشكل الفني والأداء الوظيفي لعناصر تجميل المدينة (Olsen, D. J. 1986: 82).

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في خلو معظم ساحات الكويت وميادينها – المهم منها وغير المهم، الكبير منها والصغير – من الأعمال الفنية وأعمال التجميل، والتي فيها أعمال فنية غالباً ما تكون هذه الأعمال على غير مستوى فني عال، كما سيتضح من الأمثلة الميدانية.

هدف الدراسة:

ومن هنا كان هدف الدراسة تقديم تجارب بعض الدول الأجنبية في هذا المجال ودول خليجية أخرى لا بهدف مقارنة هذه التجارب مع تجربة الكويت بقدر ما هو تحفيز للأداء في تجميل ساحات الكويت وميادينها، والارتقاء بها إلى المستوى الذي يليق بمكانتها وإمكاناتها.

منهج الدراسة:

منهج الدراسة استقرائي. استعرض فيها الباحث نماذج من تجارب بعض الدول الأجنبية والخليجية كما قام برصد ميداني لتجربة الكويت والرجوع إلى بعض الأدبيات، ثم تناول – بالوصف والتحليل – جزئيات دراسته وما أورده من نماذج وصولاً إلى النتائج الكلية والتوصيات.

نقاط الدراسة:

من النقاط التي تناولتها الدراسة: الجهات والتخصصات التي تشارك في تجميل المدينة؛ صناع القرار والمصممون، تكامل التخصصات وتداخلها، دور الجهات الحكومية والأهلية في تجميل المدينة، الساحات والميادين، العمل الفني في الساحة والميدان، نماذج من الساحات الأجنبية، نماذج من الكويت، نماذج من دول الخليج، بعض إشكالات تجميل المدينة العربية، النصب والأعمال التذكارية، ثم النتائج والتوصيات.

الجهات والتخصصات التي تشترك في تجميل المدن:

يمكن أن نقول إن هناك مثلث عمل مشتركاً في عملية تجميل المدينة، الضلع الأول منه يتمثل في الأفكار والتصميم، وتشترك فيه الجهات

والتخصصات التالية: صناع القرار سواء كانوا على أعلى مستوى من المسؤولية في البلاد أم من كبار الموظفين المفوضين بذلك، ثم الاختصاصيون من مهندسي التخطيط العمراني والمعماريين ومنسقي المواقع والمهندسين الزراعيين ومصممي الديكور والفنانين التشكيليين والفنانين التطبيقيين وآخرين. الضلع الثاني يتمثل في الإدارة والتنفيذ، وتقوم به مؤسسات الدولة وعلى رأسها البلدية، وقد تختلف مسميات الوزارات والهيئات المشاركة في عملية الإدارة والتنفيذ من بلد إلى آخر، الضلع الثالث يتمثل في الرعاية والمتابعة وتقوم به الجمعيات التخصصية والنقابات والجمعيات الأهلية غير الحكومية والأفراد وجهات أخرى.

صناع القرار والمصممون:

قد يكون صانع القرار أعلى سلطة في البلاد، وقد يتدخل في الأمور الكلية فقط، وقد يصل تدخله إلى أدق التفاصيل أو يوعز لمن يتولى المسؤولية الرسمية بمثل هذه المهام، أو قد يترك الأمر برمته لأهل الاختصاص. وفي عالمنا العربي عرفت شخصيات من الحكام ممن كان لهم شغف بالعمارة والتخطيط وتجميل بلادهم، مثل الراحلين الملك محمد الخامس بالمغرب، والملك حسين بالأردن، ومن المعاصرين حكام دولة الإمارات، والسلطان قابوس بسلطنة عمان.

أما دور المخططين العمرانيين "Regional & Urban Planners"؛ فهو دور أساسي وأولي سواء في حالة تغطيتهم لمدينة جديدة أو في حالة ارتقائهم بمدينة قديمة، فيخططون لما يلزمها من إحلال وتجديد وإنشاء لمرافق وامتداد لأحياء وشبكة طرق وميادين وتخصيص المساحات للاستخدامات المختلفة؛

فهذه سكنية والأخرى تجارية أو صناعية، وتلك مناطق مفتوحة، وأخرى خضراء، وأخرى للترفيه، إلى آخر هذه القرارات الرئيسية، التي يؤدي بعضها دوراً فعالاً في جمال المدينة والانطباع العام عنها (مركز الدراسات التخطيطية والعمرانية ١٩٦٨: ٢٨).

يمثل الدور الذي يقوم به المعماريون ومنسقو المواقع "Architects & Landscapers" دورا مهماً في عملية تجميل المدينة؛ فكل ما كان مسطحاً وتخطيطياً في الهياكل العمرانية يصبح تصميماً وكتلاً وطرزاً وألواناً ومساحات خضراء وبحيرات وأماكن ترفيه على أيدي المعماريين. إنهم البناؤون المصممون الذين يحملون أحلام مواطنيهم ويحولونها إلى واقع جميل ويقودون البيئة العمرانية إلى أداء أفضل ومظهر أجمل، ومن ثم فإن لهم النصيب الأوفر في تجميل المدينة وتخصصهم هو الأقرب لمسمى تجميل المدن. وحين يطلق مجازاً في بيئتنا العربية لفظ "مهندس تجميل مدن"، فمن المفترض أن يكون الأقرب إلى هذا المسمى خريج كلية العمارة، قسم تنسيق المواقع "Landscape Architecture" وهو التخصص الذي لم يتوافر بعد في معاهدنا العربية (www.design.iastate.edu 2007: 1).

ثم يأتي دور الفنانين التشكيليين والتطبيقيين من مصممي الديكور والنحاتين والرسامين والخطاطين ليقوموا بالدور اللامع والأكثر بريقاً في تجميل المدينة ألا وهو تأثيثها وملء فراغاتها وميادينها وساحاتها بالأعمال الفنية وأقواس المناسبات والمنحوتات والجداريات والمنشآت الخفيفة وأثاث الشارع: من أكشاك مرور، وأكشاك هاتف، وأعمدة إضاءة، ولافتات وإشارات مرور، وطريقة تبليط للأرصفة، وشكل لمقاعد الانتظار، ومظلات الحافلات، وحتى أغطية البالوعات، وما لا حصر له من تفاصيل صغيرة يستلزم تصميمها.

تكامل التخصصات وتداخلها:

مما سبق يتضح أن أدوار التخصصات الثلاثة الرئيسية السابقة هي أدوار متكاملة: التخطيط العمراني، العمارة وتنسيق المواقع، الفنون التشكيلية

والتطبيقية. وما أشبه التخصص الأول بهيكل الإنسان، والثاني بجسده، والثالث بملابسه وزينته. غير أن هذا التكامل غير دائم الارتباط في الممارسة العملية. فكثيراً ما يقوم بعض المخططين العمرانيين بالتدخل في القرار المعماري والفني إلى أدق التفاصيل. وكثيراً ما يقوم المعماريون بالتدخل في التخطيط العمراني وتصميم الأعمال الفنية وصولاً إلى أدق التفاصيل أيضاً. وكم من فنان تشكيلي له السبق في تنسيق المواقع وإقامة المنشآت الخفيفة وتصميم الحدائق العظيمة وعمل النصب التذكارية.

ونظراً لتعدد أدوار هذه التخصصات ودور كل منها المتميز في تجميل المدن فلا غرابة ألا نجد مسمى لكتاب يحمل عنواناً شاملاً، مثل "تجميل المدن" يجمع بين كل هذه التخصصات. ونظراً لأن لفظ تجميل يستدعي معنى الفن، بينما صميم تخصص المخططين العمرانيين هندسي وتخصص المعماريين ومنسقي المواقع فني هندسي، ومن ثم يبدو أن كلاً من الفريقين لا يميل إلى الكتابة تحت هذا المسمى الفني الشامل، وإنما تحت مسميات تخصصاتهم. ومن ناحية أخرى فعلى الرغم من أن الفنانين التشكيليين ومصممي الديكور هم الأقرب إلى الفن والتجميل فإن جل أعمالهم تكون في الحيز الداخلي، ومن ثم تقل كتابتهم تحت هذا المسمى الكلي أيضاً.

وعلى الصعيد العملي، فقليل من هم خبراء تجميل المدن في محيطنا العربي – من أي تخصص كانوا – حتى إنه حين طرحت منظمة المدن العربية جوائزها الفئوية الخاصة بتجميل المدن فإنها قد منحتها في فئات عدة وحجبتها في فئة "خبير تجميل المدن" (محمد الصقر وآخرون ٢٠: ٢٠٠٦).

دور الجهات الحكومية في تجميل المدينة:

دور البلدية:

تختلف أدوار المؤسسات الحكومية وأنواعها ومسمياتها، التي تشارك في أعمال تجميل المدن من دولة إلى دولة. وفي الكويت فإن الدور الرئيسي لأعمال التجميل تقوم به البلدية وتشاركها فيه وزارة الأشغال والهيئة العامة لشؤون

الزراعة والثروة السمكية، وبعض الجهات الثانوية الأخرى كإدارة المشاريع والهيئات المحلية ببيت الزكاة.

وللبلدية أدوار عديدة في الارتقاء بالمدينة من حيث تخطيطها وتطويرها ونماؤها، وذلك من خلال مخططات هيكلية توضع لكل حقبة من السنين، تستشرف المستقبل وتضع له الخطط المرجوة وتتولى البلدية مسؤولية تخصيص استعمالات الأراضي المختلفة وتعيينها وتحديد المناطق السكنية والتجارية والصناعية، وكذلك مناطق الترفيه ووضع اللوائح والقوانين المنظمة لأعمال البناء في كل منطقة (فادي عبدالكريم الشعيبي، ١٩٩٣: ١٦).

ومن مسؤوليات البلدية أيضاً تجميل المدينة والاعتناء بالساحات والميادين والمناطق المفتوحة، وتتولى عملية تنفيذ الأعمال الفنية المناسبة، التي من المفترض أن يكون لها معايير ولوائح تضبط درجة قبولها مثلما هناك قوانين تحكم أعمال البناء وتقنن لاعتماد التصميمات، ولكن – للأسف – يفتقد في بلدية الكويت قسم أو إدارة خاصة بتجميل المدينة تتولى وضع اللوائح والتشريعات الجمالية التي ترتقي بمستوى العمل الفني ومن ثم تجميل المدينة.

دور النقابات والجمعيات التخصصية والأهلية غير الحكومية والمؤسسات الخاصة والأفراد:

للنقابات والجمعيات التخصصية دور مهم في تجميل المدينة. فمثلاً نقابة المهندسين وجمعية الفنانين التشكيليين الكويتيين – بالإضافة إلى دورهما التقليدي – تمثلان حلقة الوصل بين الجهات المسؤولة الراغبة في عمل أعمال التجميل وأعضاء النقابة أو الجمعية، ومن ثم فإن عليهما مهمة نقل تفاصيل الأعمال والمهام المطلوبة إلى الأعضاء وتنظيم المسابقات وتعيين لجان التحكيم، وقد تقوم كل منهما بعمل الدراسات اللازمة لمثل هذه الأعمال والمؤتمرات وورش العمل واستقدام الخبراء بحسب طبيعة المهمة وقد تتولى أي منهما الإشراف على العمل في أثناء تنفيذه جنباً إلى جنب مع الجهات المسؤولة ضماناً لحسن الأداء وحرصاً على المظهر الفني الرفيع. ولربما تبادر هذه الجمعيات

بتحفيز أعضائها على القيام بأعمال فنية تصلح للتجميل من غير طلب أو سؤال من أي جهة، ثم تبادر بتقديم هذه الأعمال وطرح خطة للتجميل تحسب لها وللنشاط الفني لأعضائها في المدينة. وكثيراً هي الأدوار التي يمكن أن تقوم بها مثل هذه النقابات والجمعيات التخصصية، ولكن ليت الأمر يتم على النحو المرجو في بلادنا.

كما أن للجمعيات الأهلية غير الحكومية دوراً مهماً في تجميل المدن؛ فهي التي تعبر عن رغبات المواطنين واحتياجهم لعناصر التجميل بأحيائهم، وفي توظيف الحيز على هذا النحو أو ذاك، وفي إبداء الرأي بخصوص العمل الفني المناسب في هذا الميدان أو تلك الساحة، أو إحلال حديقة جديدة بأرض فضاء لا استخدام لها. كما أن لها دوراً رقابياً على ما تقوم به الجهات الحكومية من أعمال تجميل، ولربما يتعاظم الدور وتتدخل هذه الجمعيات في سياسة التجميل بصفة عامة. وكثيرة هي الجمعيات التي تقوم بهذا الدور في الخارج بل بأدوار غاية في الأهمية تمتد إلى سياسة الحفاظ على المناطق التاريخية وصيانة المباني القديمة، وغير ذلك من شؤون تجميل المدينة، والأسماء كثيرة لهذه الجمعيات، والأمثلة يضيق عنها الحصر.

كما أن للمؤسسات الخاصة والأفراد دوراً أساسياً في تجميل المدن؛ فكثير هي المؤسسات التي تعتني بالساحات أمام مبانيها وتجميلها بالأعمال الفنية وتأثيثها بالأثاث المناسب من مقاعد إلى مظلات وأعمدة إنارة وأسلوب تبليط، ولكن أتتم هذه المبادرات تحت معايير جمالية أم داخل إطار لوائح ملزمة تشرف عليها جهة ما؟ أم أن كل يفعل ما يراه مناسباً ؟

الميادين "Circles or Roundabouts" والساحات "Squares or Plazas"

الميدان القديم والميدان الحديث:

يميز الغرب حالياً بين مسميين للميدان: ميدان المرور التقليدي "Traffic Circle"، والميدان الحديث "Roundabout". أما الميدان الحديث فيطلق عليه في الولايات المتحدة حرفياً Modern Roundabout لتمييزه عن الميدان التقليدي؛ مما يعكس حداثة هذا المسمى في الولايات المتحدة، بينما هو أقدم في إنجلترا

وأستراليا؛ حيث شهدت فترة الستينيات تحولاً كبيراً في إنجلترا في معظم الميادين التقليدية، وتم تحويلها إلى ميادين مفتوحة، ويبدو ذلك واضحاً في (الشكلان ١، ٢). ولفظ "Roundabout" هو تعبير أو مصطلح term إنجليزي المنشأ (www.tfhrc.gov 2007:1).

ويقصد بالميدان التقليدي الميدان المركزي Nuclear Circle (الشكل٣)، وهو الذي يكون نواة تتجمع فيها عدة طرق، وعادة ما يأخذ شكل دائرة كاملة الاستدارة، وتتفاوت أقطاره ومن ثم أحجامه بحسب عدد الطرق التي تتجمع فيه وبحسب عروض هذه الطرق وحركة السيارات عليها. وقد يتعدى حجم الميدان الحجم القياسي بمرات كثيرة، وقد يأخذ شكلاً غير دائري، ووظيفة أشبه ما تكون بوظيفة الساحة (فاروق حيدر، ١٩٩٤: ٢٦١).

ويوضح الجدول التالي أهم الفروق بين الميدان التقليدي والميدان الحديث.

الجدول (١)

الميدان التقليدي Traffic Circle	الميدان الحديث Roundabout
أولوية المرور للقادم من الطريق	أولوية المرور للسيارات داخل الميدان
إشارات مرور ضوئية للتوقف عند نهاية الطريق والتقاؤه بالميدان أو لافتات توقف	توقف تلقائي مؤقت بانحراف من القائدين (Yield) حتى تسنح فسحة بينية للتخلل بينها (Deflection)
بعض الميادين التقليدية كبيرة الحجم ومتسعة الطرق؛ بحيث تتيح الفرصة لدخول السيارات إليها بسرعة عالية	يصمم الميدان والطرق المؤدية إليه بحيث تكون هناك أماكن ضيق واتساع تتحكم في تدفق السيارات (Flare)
يسمح في بعض الميادين بتوقف السيارات	لا يسمح بتوقف السيارات
يسمح بعبور المشاة إلى قلب الميدان	غير مسموح بعبور المشاة إلى قلب الميدان
أكبر حجماً	أقل حجماً

وقد تم تلخيص السمات الأساسية للميدان الحديث في ثلاثة رموز مرورية، هي الواردة باللغة الإنجليزية داخل الأقواس في الجدول أعلاه (الشكل ٤: ٦).

هذا، ولا تمثل الميادين المرورية – في الأحوال الغالبة – مسرحاً لأعمال التجميل وخاصة الأعمال الفنية بالقياس إلى الساحات؛ حيث إن الأولى هي دوارات للسيارات وغالباً ما لا يرتادها المشاة، بينما الأخيرة تعج بالمارة، وغالباً ما تكون في المناطق التجارية.

الساحة Square or Plaza:

الساحة هي حيز مفتوح عادة ما يتوسط قلب البلدة أو المدينة، وترتاده جموع المواطنين، وهي من أهم الفراغات الديناميكية بالمدينة؛ نظراً للإمكانات العديدة واستثمارها في وظائف مختلفة، ونظراً لكم المشاة الذي يعبرها أو يمر بها. وحيث تتولد الساحة من الفراغ المطروح من كتلة مبنى ما ومن ثم تكون تابعة له فإنها عادة ما تتوظف بالوظيفة الملائمة لهذا المبنى. فقد تترك خالية تماماً لتكون بمثابة مساحة استقبال واستهلال لهذا المبنى الرئيسي للساحة، وقد توظف للاسترواح والانتظار، وقد تكون محلاً نشطاً لتجمعات ولقاءات، وقد تكون سوقاً مركزية تصطف على جوانبها المحال والمقاصف والمطاعم، والأهم من كل هذه الوظائف أنها عادة ما تكون مسرحاً للأعمال الفنية وبقعة مميزة من المدينة وواجهة سياحية لها، وتعبيراً عن شكل اللقاء الاجتماعي للشعب وطريقة تجمعه في الأماكن العامة. (ماهر ستينو وليلى الحصري، ١٩٩١: ٨ – ١٣).

رصد التاريخ استخدام الساحات منذ فجر الحضارات القديمة؛ حيث كانت تقام الساحات للأغراض الدينية وتبجيل الآلهة وتقديم القرابين، وكانت تقام خارج المدن، ويرتحل إليها الناس في يوم إجازاتهم من كل أسبوع. وفي زمن الإغريق كان يحيط بكامل مساحتها سور يفصلها عن باقي المكان، وكانت تستخدم لأغراض سياسية وعسكرية، ثم تطور استخدام الساحة في أوروبا لتكون مركزاً لتجمع العامة وسوقاً رئيسياً للبلدة، ثم مكاناً تلقى فيه الخطب وتقام فيه الاحتفالات والعروض. وفي بلادنا الشرقية فإن أقرب مثال في الاستخدام المماثل لهذه الساحات هو الساحات أمام المساجد الكبيرة؛ حيث

تلتقي تجمعات المصلين قبل الصلاة وعقبها مع اختلاف النشاط، فساحات أوروبا وأمريكا الحديثة هي أماكن للاسترواح والاستمتاع، وتلحق بها الأعمال الفنية والمقاصف. أما في ساحات المساجد فالطبيعة الرصينة المحافظة للمكان تجعل الأنشطة في هذه الساحات قاصرة على الاحتفالات الدينية أو إلقاء العظات والخطب والقليل من عمليات البيع والشراء.

وكثيراً ما ترتبط الساحة المهمة بشارع رئيسي قد يكون قاصراً على المشاة يؤدي إلى هذه الساحة، وتصف على جانبيه المحال والمقاصف. وأول ظهور لمثل هذا الشارع كان على يد الفرنسيين، وإن كان – حينذاك – عارياً من أي نشاط سوى الأشجار تصطف على جانبيه، ويتنزه فيه المشاة أو الراكبون على ظهور الخيول كما كانت تقام فيه العروض العسكرية، وهو ما عرف باسم بوليفار " Boulevard " (ماهر ستينو وليلى الحصري ١٩٩١: ٨–١٣).

يصنف المخططون العمرانيون والمعماريون الساحة إلى أصناف ومسميات عدة، من أهمها:

١ – الساحة المغلقة "Closed Square": وهي المحاطة من جميع جوانبها بالمباني وينفذ إليها من شوارع للمشاة.

٢ – الساحة شبه المغلقة "Semi Closed Square": وهي المحاطة من ثلاثة جوانب بالمباني ومفتوحة من جانب واحد قد يكون طريقاً مستمراً للمشاة أو للمرور والمواصلات.

٣ – الساحة المفتوحة "Opened Square": وهي المفتوحة من جانبين أو أكثر على فراغ المدينة، وتركز في أهميتها على أثر أو صف من المباني المميزة أو واجهة معمارية أو عمل فني.

٤ – الساحة غير المنتظمة الشكل "Amorphous Square": وهي التي لا تخضع لشكل هندسي منتظم.

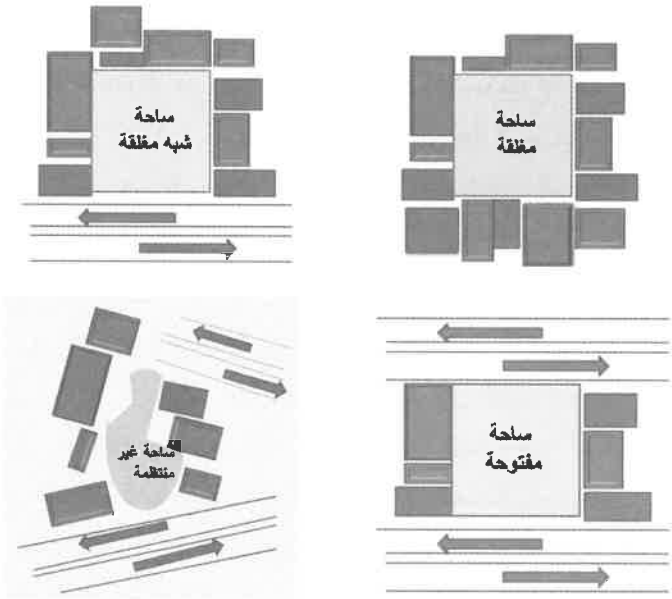

وحيث إن التصانيف الأربعة السابقة تنسب مسمى الساحة إلى شكلها وعدد أضلاعها المفتوح منها والمغلق، فيضاف – أحياناً – إلى هذه المسميات مسمى خامس آخر، ينسب الساحة إلى المبنى الرئيسي لها على النحو التالي:

* الساحة التابعة "Dominated square": وهي التي يخدم فراغها أثراً بعينه أو مبنى أو عملاً فنياً صممت على أساسه الساحة.

ويختصر بعض المخططين أنواع الساحات إلى نوعين رئيسيين فقط، وفقاً لاتجاه الساحة بالنسبة إلى المبنى الرئيسي بها أو بالنسبة إلى البيئة العمرانية المحيطة بها، وذلك على النحو التالي:

* الساحة الممتدة "Deep Square": وهي الممتدة باتجاه عمودي على العنصر المطلة عليه.

* الساحة الرحبة "Wide Square": وهي المستعرضة باتجاه مواز للعنصر المطلة عليه (Heggemann, W.& Peets, E. 1992: 154).

حيوية الساحة وخمولها:

هناك عدة عوامل تؤدي إلى حيوية الساحة أو خمولها، ومن ثم ذيوع شهرتها من عدمه، ومن ذلك:

١ – موقع الساحة بالنسبة إلى مراكز النشاط، سواء كان هذا النشاط تجارياً أم ترفيهياً أم ثقافياً أم ما شابه.

٢ – مدى ملاءمة الساحة لأكثر من نشاط يتجمع من أجله المواطنون بها، سواء من أجل التسوق أو الاسترواح أو ارتياد المطاعم أو المقاصف أو زيارة أثر أو تجمع لمشاهدة احتفال أو عرض أو مناسبة ما.

٣ – المباني المطلة على الساحة وأهميتها ومدى ارتباطها بالساحة.

٤ – الخدمات المقدمة للساحة ومدى احتياج رواد الساحة إليها.

٥ – الأعمال الفنية أو الآثار أو مراكز الترويح.

٦ – جمال الساحة بوجه عام الذي هو محصلة لكل ما سبق وثقل الساحة بالنسبة إلى المعالم المهمة في المدينة، وإن كانت تعد من هذه المعالم أم لا.

الساحات الأوروبية والأمريكية:

بلغ كثير من الساحات الأوروبية مدى عظيماً من الشهرة كساحة "اللوفر"، وكنيسة "نوتردام"، ومركز "بومبيدو" في فرنسا، وساحة "ترافلجر سكوير" (الطرف الأغر) في إنجلترا، وساحة "نافونا" بروما، وما لا حصر له من الساحات الأخرى. تتميز الساحة الأوروبية بالألفة واجتماع العدد الكبير من المواطنين فيها، وتكاد تتشابه العناصر الرئيسية للساحة الأوروبية في المدن المختلفة، فهي تلتف حول عمل فني أو نافورة أو معلم رئيسي، محاطة بالمباني من معظم الجهات، وقد تكون بها كنيسة في إحدى هذه الجهات أو مبنى رئيسي وعدة مقاصف ومطاعم موزعة هنا وهناك. كما قد تكون محلاً لنشاط تجاري أو متصلة بمركز المدينة التجاري ومعظم هذه الساحات تكون قاصرة على مرور المشاة تقف عند حدودها نهايات طرق السيارات.

أما الساحة الأمريكية فهي – من الناحية الاجتماعية – أقل ألفة من الساحة الأوروبية، فرواد الساحة الأمريكية على عجل دائم أو في انتظار مؤقت، متباعدون بعضهم عن بعض، الساحة بالنسبة إلى معظمهم ساحة انتظار والتقاط أنفاس بين ساعات العمل أكثر منها ساحة استرخاء واستجمام وتبادل الحوار شأن الساحة الأوروبية. ومن الناحية المعمارية فهي أكثر صرامة وحدة بمبانيها العصرية المفرطة في الارتفاع من حول الساحة؛ مما يجعل الإحساس بحيز الساحة الأمريكية وكأنه جزء من فراغ "متروك" أو "مطروح" من مساحة المبنى التابعة له، وهي الحقيقة التي أكدها بصراحة أحد أعظم رواد العمارة الحديثة "لوكوربوزييه" في قوله: " إن دور الساحة يكون – بالدرجة الأولى – للإعداد للمبنى المهم وليس لاحتياج اجتماعي!!"، وكأنما يلخص أنواع الساحات المختلفة في نوع واحد، وهو الساحة التابعة للمبنى الرئيسي ويعتبر مسطحها – مهما كانت مساحته – مسطح استقبال للوصول إلى المبنى بغض النظر عن استخدامه الاجتماعي الذي قد يكون وقد لا يكون (ماهر ستينو وليلى المصري، ١٩٩١: ٨ –١٣).

إن تباعد الولايات والمدن الأمريكية بعضها عن بعض وارتحال الناس بين هذه الولايات لهثاً وراء العمل أو العلاج أو الدراسة يجعل الموطن الأمريكي في عجلة دائمة ويجعل ساعته البيولوجية أكثر تسارعاً، ومن ثم فإن رغبته في الاستلقاء والاسترواح في الأماكن العامة أو مشاهدة المناظر الخارجية أو التمتع بالحوار هو أمر غير مطروق بالدرجة نفسها للمواطن الأوروبي، ومن ثم فإن دور الساحة الاجتماعي أقل شأناً عند المواطن الأمريكي عنه عند المواطن الأوروبي.

وعلى أية حال، فإن هناك نداء في الولايات المتحدة بضرورة إبطاء إيقاع الحياة السريع والتجاوب مع البيئة، وهي الحركة المعروفة حالياً بالعودة إلى المدينة والعودة إلى مفهوم الألفة والتجاوب مع المكان وربط الناس بمعالم المدينة (ماهر ستينو وليلى المصري، ١٩٩١: ٨ –١٢).

العمل الفني في الساحة والميدان:

إن فنون الأبعاد الثلاثة؛ التشكيلية والتطبيقية وما شابهها، تمارس منذ عصور عديدة في الغرب من غير قيود دينية أو أيديولوجية، فلا غرابة أن نجد الأعمال الفنية تملأ الساحات والميادين الأوروبية بلا حصر، ومنها ما يعد من روائع الفن العالمي ومعالمه. أما في الشرق وفي البلاد الآسيوية المحافظة فإن استخدام الأعمال الفنية في الميادين هو أمر حديث نسبياً (Sato, M. 1992: 118). وفي بلادنا العربية فإن الالتزامات الدينية والعادات والتقاليد جعلت "الفن العام في الأماكن المفتوحة" أكثر تحفظاً في اختيار مواضيعه، ومن ثم فهناك تجنب للتماثيل الشخصية والتركيز على توظيف الأعمال الفنية المجردة والأعمال التراثية والتاريخية.

وبصفة عامة، فإن موضوعات العمل الفني في المناطق المفتوحة في معظم أنحاء العالم قد تطورت تطوراً ملحوظاً في اتجاه المدارس الفنية الحديثة، ولم تعد تقدم الأعمال التقليدية المتعارف عليها في الساحات الكلاسيكية الشهيرة، سواء تلك التي يتمركز فيها عمود ضخم يعلوه تمثال أو صرح تحفه التماثيل أو نافورة تقليدية (الشكل ٧: ٨)، وإنما أصبح هناك ثراء في الموضوعات والأفكار والخامات، التي يقصر عنها الحصر ويعرض الباحث فيما يلي بعض الساحات من أوروبا وأمريكا بادئاً بمثال "كلاسيكي" ثم متنقلاً بين نماذج مختارة يقدم كل منها تصميماً مبتكراً أو فكرة جديدة.

نماذج من ساحات أجنبية:

ساحة تيرو بـ ليون "Place des Terraux" :

تقع هذه الساحة في قلب المنطقة التاريخية في مدينة ليون الفرنسية، وهي أكبر ساحة عامة في المدينة، وتحيط بها مجموعة من مباني القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر. ولتهيئة هذه الساحة لتكون مكاناً "تاريخياً – عصرياً" يتجمع عنده المواطنون، فقد جرت عليها جهود للحفاظ والتجديد دون المساس بأي من المباني القديمة إلا في أقل الحدود اتباعاً للمقولة الفرنسية الشهيرة في

مجال الحفاظ على الآثار والمباني القديمة "tout changer san rein touché" غير كل شيء من غير أن تمس أي شيء". تمثلت التغييرات والإضافات اللازمة في تحريك النافورة من وسط الساحة إلى جانبها لتفريغ قلب الساحة لاستقبال أكبر عدد من الناس، وعلى جانبي النافورة تم تخصيص مساحات كافية لعمل مقاصف ومطاعم ليستمتع روادها بجمال الساحة، ومن أمام النافورة تم تخطيط الميدان وزرع نافورات "باثقات مياه water jets" مخبأة بالأرضية، وتظهر وتختفي بالتحكم "الأوتوماتيكي"؛ بحيث تصبح الساحة تارة مساحة خالية للتجمع والحركة، وتارة أخرى سطحاً مبللاً بالمياه، تنعكس عليه – ليلاً – أضواء قصر "سانت بيير" القابع في صدر الساحة (الشكل ٩). إن جمال هذه الساحة يتمثل في تجميع عدة عناصر تقليدية كثيراً ما تتكرر في ساحات أوروبية أخرى، وهذه العناصر هي: المباني التاريخية والنافورة والمطاعم وعناصر الإضاءة والتشجير؛ مما يجعلها مثالاً للساحة الكلاسيكية العصرية (Cerver, F.A. 1997: 8 - 17). وبداهة، فليس تكرار هذه العناصر في كل ساحة هو الذي يخلق النموذج الجميل، فقد تحتوي بعض الساحات المباني أو النافورات التاريخية أو ينقصها أي من هذه العناصر وإن لم ينقصها الجمال.

ساحة سانت هانز تورف "Sankt Hans Torv Square":

في وسط كوبنهاجن تقع ساحة "سانت هانز تورف"، المشهورة بهدوئها في الأحوال العادية وبصخبها عند المناسبات، يحتل وسط الساحة عمل نحتي حديث ذو خطوط حادة وكتلة مركزية تتضاد مع خطوط المباني التاريخية وكتلها الممتدة على محيط الساحة. وينبع من هذا العمل الفني اثنا عشر مخرجاً للمياه التي لا تتجمع في حوض محدد لنافورة تقليدية بل تنصب على أرضية الساحة المسطحة مكونة تجمعاً مائياً رقيقاً ينساب في صورة متفرقة، ثم يتجمع في نقاط صرف غير ملحوظة، وعلى الجوانب تنتشر المقاصف والمطاعم ليستمتع الرواد بهذا المحيط الجميل (الشكل ١٠) (Cerver, F.A. 1997: 40 - 43).

ساحة أرنسبرج "Arnsberg" :

ساحة أرنسبرج بمدينة نيهيم بألمانيا كانت مسرحاً لمهرجان للأعمال

النحتية والفنية في سنة ١٩٩٠ Symposium، وكان موضوعه "الفن كمعرض عام مفتوح". وكان من أهم مخرجات هذا المهرجان عمل فني غير تقليدي، يسمى "مجلس الحكماء الخمسة"، ويمثل الحكماء في هذا العمل خمسة صخور محيطة بدائرة تشبه نافورة مبلطة بالأحجار بأسلوب المراوح التقليدية المتداخلة (النمط الزخرفي المعروف)، وتتصل بدائرة أخرى تتمثل في نافورة مياه بوساطة مجرى مائي محاط بسلسلة من الصخور الطبيعية. يتوسط هذا العمل الساحة، في حين يحتل أحد جوانبها مقصف وبعض العناصر الوظيفية والجمالية من أشجار وأعمدة إنارة (الشكلان ١١، ١٢) (Mangus, D. 1973: 60 - 63).

ساحة محطة ماروجيم "Marugame":

صممت هذه الساحة في مدينة ماروجيم اليابانية لتخدم محطة قطارات البلدة، وتم معالجة المساحة الكبيرة لها ببساطة وجمال؛ لتكون في استقبال الخارج من المحطة، واختيرت عناصرها لتشبه البوابة التي يدلف منها الزائر إلى المدينة، وللوهلة الأولى فإنها تبدو بخطوط حديثة عصرية. بيد أن هذا التصميم الحديث يحمل روح التراث الياباني بحذافيره، ولكن في خطوط وخامات عصرية. فستائر المياه التي تنهمر من الهياكل الحديدية المربعة المتتابعة في وسط النافورة، تحاكي ستائر الشوجي "shoji" المصنوعة من ورق الأرز واستخدام الإطارات المتتابعة محاكاة لبوابة الشنتو "Shinto" في العمارة اليابانية التقليدية، وعلاقة المربع بالدائرة المستديرة هو عنصر يتكرر أيضاً في التراث الياباني، وتتابع الشرائط الفاتحة مع الداكنة في الأرضيات هو محاكاة لأرضيات الحدائق اليابانية، هذا، فضلاً عن الصخور الطبيعية المتناثرة في شكل حلزوني، التي هي من التراث الياباني أيضاً. الخلاصة أن هذا النموذج هو واحد من أفضل وأجمل النماذج التي يضرب بها المثل في كيفية استلهام التراث وعناصره وإخراجه في ثوب عصري وأداء وظيفي يخدم الناس، ويتسق مع جو المدينة المحيط، ويؤكد المفهوم الجميل للساحة الحضارية من حيث المساحة وتوافر عناصر الجمال والراحة (الشكلان ١٣، ١٤) (Cerver, F.A. 1997: 136 - 143).

ساحة جاكوب جافيتز "Jacob Javitz" بنيويورك:

تقع هذه الساحة في الناحية الجنوبية من حي "منهاتن" الشهير بنيويورك، وتم تصميمها لتكون متسعة إلى أقصى حد ممكن، تصل إلى أطراف أرصفة المشاة من الناحيتين المفتوحتين للساحة، ومن الناحيتين المغلقتين تصل إلى حافة المباني الحكومية. وعلى الرغم من الارتفاع الشديد في ثمن الأراضي في هذه المنطقة في وسط الحي المالي الشهير فقد وظفت هذه المساحة لخدمة موظفي المنطقة ومرتاديها ليستريحوا فيها، سواء في ساعة الراحة بين أوقات العمل أو عند عبورها. وصممت المقاعد في صورة صفين متوازيين على هيئة دوائر وحلزونات، يتوسط كل منها قبة نباتية خضراء، تعلوها مخارج لرشاشات مياه متى تم تشغيلها كست القبة بغلالة من الماء المتناثر؛ بحيث تغلف القبة الخضراء الطبيعية بقبة شفافة من المياه. وتتوزع هنا وهناك أعمدة إضاءة بشكل غير منتظم يردد التوزيع غير المتماثل لحلزونات المقاعد والقباب؛ مما يؤكد خطوط التصميم العصري غير التقليدي سواء للساحة أو النافورات أو المقاعد. ونلاحظ عدم مبالغة التصميم في المساحات الخضراء أو شكل المقاعد وإنما هناك بساطة واتساع، وغرض أساسي هو خلق رئة صحية ومنطقة ترويحية في وسط حي منهاتن المزدحم (الشكلان ١٥، ١٦) (Cerver, F.A. 1997: 62 - 67).

ماذا لو تصورنا تنفيذ مثل هذه الأفكار في بلادنا الحارة مع إضافة بعض من المظلات ذات الألوان المتناسقة المصفوفة بتواز مع صفوف المقاعد لتقي من حر الشمس؟ وإن استخدام رشاشات المياه – وخاصة التي تبث الرذاذ – يساعد على تلطيف الأجواء، وكم هو بديع منظر مثل هذه الساحة ليلاً والإضاءة تنبعث تارة من القباب وتارة من جوار رشاشات المياه وتارة من أعمدة الإضاءة وتارة من صفوف الإضاءة الأرضية في محيط الساحة!.

وماذا لو تصورنا أن تلتزم بعض المؤسسات الخاصة في الكويت بتخصيص مثل هذه الساحات وأن تختار لها التصاميم والأفكار الناجحة، ويمكن

أن تتحول بعض المساحات بين هذه المباني الشاهقة في المستوى الأرضي إلى حيز مسقوف يغطى بألواح من البلاستيك الزجاجي "Polycarbonate sheets" المعالج ضد أشعة الشمس وضد الخدش مع تكييف المكان وتشجيره؛ مما يوفر أماكن جمالية كثيرة بالمدينة تكون متنفساً لموظفيها ولتجمعاتهم الخارجية وللمارين والعابرين، وفي الوقت نفسه تكون تعبيراً بليغاً عن المدينة الجميلة وطابعاً فنياً مميزاً لها.

ساحة مدينة ترموسو "Tromso" بالنرويج:

ساحة ترموسو في النرويج هي مكان التجمع الرئيسي لأهل البلدة الذين ابتكروا عملاً فنياً رائعاً من خامات البيئة، وبالتحديد من صخور الثلج؛ حيث قاموا بتكوين عدة حلقات من كتل الصخور المركبة في صفوف دائرية وأضاؤوا هذه الحلقات بصورة بديعة أضفت على الساحة بهجة لا حد لها فكانت مكاناً لتجمعهم في أيام الشتاء الباردة (الشكل ١٧) (Cerver, F.A. 1997: 154 - 161). ولا يتصور من هذا المثال الذي يستخدم فيه الثلج أن يكون نموذجاً لأي من الأعمال الفنية التي يمكن تنفيذها في الأماكن المفتوحة في بلادنا، وخاصة في بلد مثل الكويت وإنما المقصود هو ضرب المثال على بساطة الأفكار الجمالية واستغلال خامات البيئة، وحرص الناس على التجمع في المناسبات، ومن ثم تجميل الساحات التي هي محل تجمعهم ولقائهم وسمرهم. ومن ناحية أخرى فإنه حتى محاكاة مثل هذه الأفكار بخامات صناعية ليس بالأمر العسير؛ فهناك منتجات من البلاستيك واللدائن تحاكي الصخور الثلجية، ومن ثم فإن إخراج مثل هذه الأفكار أصبح من الأمور اليسيرة.

والتجمع في الساحات أمر معروف في كل الحضارات قديماً وحديثاً كما أشار الباحث سابقاً. والكويتيون – على وجه الخصوص – قد عرفوا في عمارتهم البيئية التقليدية الساحة التي كانت تضم عدة بيوتات لجيران متقاربين ومتصادقين، يمضون أوقاتهم معاً، والساحة هي محل سمرهم ولقائهم ومناسباتهم، وهي ما كان يطلق عليها "الفريج"، وهي الظاهرة الاجتماعية

المفتقدة حالياً سواء في الأحياء السكنية أو وسط المدينة (محمد الخرس ومريم العقروقة ٢٠٠٠: ١٤).

ساحة مدينة فيتري "Vitry" بفرنسا:

هذه الساحة هي مثال نموذجي للبساطة المطلقة للساحة؛ حيث قررت بلدية المدينة ترك مساحة مفتوحة خالية تماماً من أي تأثيث لتكون مكاناً ترويحياً مفتوحاً في أيام الأسبوع عدا يوم الأحد؛ فتتحول إلى سوق أهلي للمواطنين يتبادلون فيه ما يزيد على حاجتهم من سلع نظير أجر زهيد لليوم يدفع للبلدية (الشكل ١٨) (Cerver, F.A. 1997: 72 - 79). إذا لم يكن هذا التقليد منتشراً في بلادنا؛ بيع ما يزيد على حاجاتنا بعضنا لبعض، أقلا يمكن أن تكون مثل هذه الساحات مجالاً لعرض المنتجات الفنية لشبابنا، كل يخصص له مكان بعدد من الأمتار المربعة تحت مظلة مصممة بأسلوب جميل، وأن يتم العرض أيضاً بأسلوب مقنن بلوائح بسيطة. ألا يمكن أن تكون مثل هذه المساحة المفتوحة ملعباً "لقباقيب الانزلاق" للأطفال، وكثير من أنشطتهم المرحة التي تحتاج لمثل هذه المساحة، وتعود بالربحية في الوقت نفسه على بلدية المدينة، وتحقق مزيداً من الحميمية والارتباط بأرض المدينة والوطن؟.

ساحة برشنج "Pershing" بلوس أنجلوس:

يعود إنشاء هذه الساحة إلى عام ١٨٨٦، ومنذ ذلك الحين وهي تتعرض للتغيير والتجديد إلى أن تم إنشاء موقف سيارات أسفلها سنة ١٩٩٥ يسع نحو ١٨٠٠ سيارة، وقد تم تجديدها بأسلوب يستوحي خطوطه وملامحه من التراث الإسباني المكسيكي ذي الجذور القوية في مدينة لوس أنجلوس. ومن ذلك استخدام الألوان الساخنة كالبنفسجي في البرج الرأسي الصاعد بزاوية ميل تشبه المعمار التراثي المكسيكي واللون الأصفر – المضاد للبنفسجي – في الحوائط الأفقية المفرغة، ولون "قشر الرمان" في الأشكال الكروية الجذابة (الشكلان ١٩، ٢٠). إن عدد السيارات الموجودة بـ(الجراج) أسفل هذه الساحة يشير إلى مدى ازدحام هذه المنطقة في وسط المدينة، ومن ثم كانت هذه

الساحة متنفساً للمواطنين وراحتهم ولقائهم واستجمامهم وفي وسط جو من الألوان الجذابة والمياه (Cerver, F.A. 1997: 110 - 119).

الحديقة الأطلنطية بباريس "Atlantique Jardin" :

ملمح يمزج بين المياه والخضرة والمتعة ويبتعد عن شكل النافورة التقليدية، يتمثل في رشاشات مياه عديدة في داخل ممرات مائية تحيط بمظلة مرتفعة ويسمح للأطفال بالنزول إلى هذه النافورة – مجازاً – بملابس الاستحمام والتمتع بالمياه والشمس والظل، وذلك في الحديقة الأطلنطية بباريس. إنها ليست حديقة ألعاب مائية وإنما هي حديقة حكومية عامة للمواطنين ومن أجل متعتهم وراحتهم (الشكل ٢١) (Cerver, F.A. 1997: 103).

نافورة ساحة الميناء بهلسنكي "Harbor Square" :

في هلسنكي حيث تمددت أطراف المدينة متباعدة عن مركزها التاريخي وعن مينائها القديم، وحظيت الأحياء الجديدة بالاهتمام على حساب الأحياء القديمة، عمدت بلدية المدينة إلى تنفيذ عمل فني في نهاية الشارع الرئيسي المؤدي إلى الميناء، وعلى كل من جانبيه؛ يتمثل في نافورتين متماثلتين في نهاية تقاطع الشارع مع حد الميناء، فأصبحتا بمنزلة البوابة "الأرضية" للميناء وعلامة مميزة على المنطقة. فكرة جديدة وتوظيف مبتكر للنافورة واستغلال لها كمعلم إرشادي " Land mark ". تصميم النافورتين غاية في البساطة؛ فكل منهما مسطح دائري لا يزيد ارتفاعه على ثلاثين سنتيمتراً عن الأرض، تنساب منه المياه رقراقة من غير صخب، ويتميز حجم النافورة بالكبر النسبي حتى تظهر كبقعة زرقاء من المياه الصافية تضفي على الموقع لوناً هادئاً جذاباً (شكل ٢٢) (Cerver, F.A. 1997: 44 - 49).

حديقة سان جوز بلازا "San Jose Plaza Park" :

"نافثات" الماء مبرمجة لتبدأ عرضها في صورة سحابة من بخار الماء في الصباح، ثم ترتفع في صورة شموع منفصلة في وسط النهار، وفي الليل تضاء بوساطة وحدات إضاءة مثبتة بالأرضية، وفي كل الأوقات فإنه مسموح للزوار

بالتمتع بالنافورة والسير خلالها لمزيد من الإحساس برذاذ الماء المنتشر (الشكل ٢٣) (Lyall, S. 1992: 64 - 67).

وفي أمثلة أخرى قد يكثر عدد نافثات الماء بصورة كبيرة جداً؛ بحيث تكون ستارة من الماء يتحكم في شكل خطها الخارجي "Outline profile" برمجة أتوماتيكية تغير هذا الخط بين تدرج في أطوال النافثات أو في تعرجها وتموجها، (الشكل ٢٤).

الحديقة المعلقة بمدينة مينز بألمانيا "Green Bridge of Mainz" :

في مدينة مينز واحدة من ألمع الأفكار الفنية لتجميل المناطق المفتوحة ولا سيما تقاطعات الطرق. فوق الشارع الرئيسي المزدحم بحركة المرور تم بناء معبر مسطح عريض يربط بين ضلفتي الطريق، ويعمل في الوقت ذاته كحديقة معلقة مكتملة المواصفات تنطق بالروعة والبراعة. لقد حقق هذا المعبر العريض أكثر من نجاح، فهو معبر آمن بين جانبي الطريق، وهو حديقة يستروح فيها أهل الحي ومكان للقائهم ومسامراتهم وروضة للأطفال، وهو إضافة جديدة للرقعة الخضراء في المدينة الصناعية وتوسعة في رئتها الصحية. لقد سهل التصميم البارع لهذه الحديقة الصعود إليها والهبوط منها بالمدارج الموزعة على أكثر من مستوى والممتدة في عمق الحديقة؛ مما يسر عملية الصعود والهبوط وأعطى مساحة أكبر للحديقة (الشكل ٢٥: ٢٨) (Mangus, D. 1973: 64).

نماذج من ميادين "دوارات" الكويت وساحاتها:

يستعرض الباحث في هذا الجزء بعضاً من الأمثلة المختارة من ميادين الكويت وساحاتها، وهي تعطي فكرة واقعية عن أسلوب تجميلها ومستويات الأداء بها، ويجب بداية أن يشير إلى ملاحظة خاصة بوسط مدينة الكويت؛ فقد جرى العرف أن يحتوي وسط المدن أهم الميادين والساحات وأفضل الأعمال الفنية وأساليب التجميل، ولكن الملاحظ في وسط مدينة الكويت – كما توضحه الخريطة (الشكل ٢٩) – هو قلة عدد الميادين، وكذلك فإنه بالمشاهدة العينية فإن معظمها خال من أعمال التجميل ما عدا البعض الذي تشغله النخيل

والأشجار لا بغرض تجميلي مبتكر قدرما هو بغرض ملء الفراغ، كما سيرد لاحقاً.

ساحة المباركية:

تحتضن هذه الساحة واحداً من أجمل الأعمال الفنية في الكويت، وهو عمل تجريدي حديث، بسيط الخطوط، ويتكون من مسطحين منحنيين متداخلين يمكن تشبيه أحدهما بالساتر أو الشراع والآخر بجزء من خيمة عربية أو شراع آخر، ويتوسطهما سار عليه علم الكويت، والقاعدة إنما هي جزء من مخروط في تشكيل مركزي جميل (الشكل ٣٠). يزيد من تقدير هذا العمل تناسب العلاقة بينه وبين الفراغ من حوله وموقعه في ساحة مهمة كساحة سوق المباركية وفي إطلالته على شريان مرور رئيسي بوسط المدينة.

هذه الساحة تتيح مجالاً لتعقيب مختصر على الرسالة الحديثة للعمل الفني التجريدي الذي قد تدل خطوطه على معنى ما أو قد لا تدل – شراع أو لا شراع – وإنما مضمونها ورسالتها في علاقة العمل الفني بذاته وخطوطه التشكيلية والعلاقات الجمالية فيما بينها، وهو الاتجاه الذي أصبح يسود العالم المعاصر في الأعمال الفنية بالمناطق المفتوحة، ولو وضعنا هذا العمل جنباً إلى جنب مع مثالين غربيين آخرين لوجدنا تشابهاً كبيراً في الاتجاه الفني والخطوط العصرية البسيطة (الشكلان ٣١، ٣٢).

نموذج آخر لأحد الدوارات، وهو يقوم في مركزه برج ينتهي بساعة على الأوجه الأربعة، مثل هذه الأبراج هي عمل فني متكرر في الكويت وفي معظم المدن؛ وذلك للاحتياج الوظيفي له؛ ونظراً لبساطة شكل البرج وبروزه الواضح للعيان كمعلم رأسي في منتصف ميدان فإنه يتسم بالقبول والنجاح (الشكل ٣٣).

نموذج آخر أقامته إحدى الشركات الخاصة في أحد الطرق السريعة يتميز بكبر حجمه النسبي والرمزية في عناصره؛ حيث تشير المباني المستخدمة في التكوين إلى طراز بنائي خاص بحضارة الرافدين والعلاقة التشكيلية بين عناصره ناجحة، وتحيط بالعمل سواري أعلام الشركة وعلم الكويت (الشكل ٣٤).

وفي مقابل النموذج السابق نموذج آخر قام به أحد المستشفيات الخاصة، متوسطاً الميدان الذي أمامه. مجرد شراع بسيط مفرغ ومرسوم بخط خارجي بلا أي كتلة تسترعي النظر، وليس هناك تناسب بين حجم الميدان والعمل الفني، والميدان يخلو من قيمة فنية معتبرة. ومثل هذا المثال كثير وشائع في الكويت ويضيق عنه مجال البحث (الشكل ٣٥).

وهناك نموذجان آخران لتجميل الميادين بأعمال تكرم الوطن ورموزه، أولهما دوار الشيوخ حيث تتوسط الدوار قاعدة لا تكاد ترتفع عن الأرض إلا قليلاً، يعلوها مساحة مستطيلة من ثلاثة أوجه من شرائط رأسية مرسومة بالطلاء (الشكل ٣٦). والتعليق: هل يتناسب حجم هذا العمل الفني مع حجم الميدان؟ وهل يتناسب حجمه وأداؤه الفني مع غرض التكريم والتبجيل؟ وهل تتناسب الخامات والمواد المصنع منها العمل (خشب وطلاء) مع جلال المناسبة وصفة البقاء المطلوبة لمقاومة الظروف والعوامل الطبيعية؟

أما العمل الفني في دوار العديلية – وهو واحد من أكبر ميادين الكويت مساحة – فهو على شكل "عقد فارسي " من ثلاثة أرجل، وقد شوهت نسب العقد الفارسي الهندسية المتعارف عليها، وتم رسم علم الكويت "رمز" الوطن على أوجه العقد وطلائه لمجرد ملء الفراغ !!. هل يتناسب حجم هذا العمل مع المساحة الشاسعة لهذا الميدان ؟ وهل يجوز هذا التناول لعقد هندسي بسيط متعارف على أبعاده الهندسية ؟ وهل يجوز مثل هذا الاستخدام "الركيك" لعلم الوطن ورمزه ؟ وهل هذا العمل جميل أصلاً ؟ (الشكل ٣٧).

تعقيب على تجربة الكويت في تجميل الميادين والساحات:

* من المفترض أن تحتل ميادين وسط المدينة أفضل الأعمال الفنية ولكن الملاحظ أن معظم هذه الميادين شاغر (الشكل ٣٨)، باستثناء دوار قصر دسمان، الذي تتمثل عناصر التجميل فيه في نافورة لم يعد تصميمها يتناسب مع موقعها ولا الاتجاهات الحديثة في إخراج النافورات، ولا تكاد تبين في المساحة الشاسعة للميدان (الشكل ٣٩).

* إن التشجير الذي يملأ فراغ بعض الميادين كثير ما يتعدى الحد المقبول ويحجب الرؤية عن جهات الميدان ونهايات الطرق بعضها عن بعض ويصل – في كثير من الأحيان – إلى حد التوحش الشجري، حتى يشبه الدغل أو الغابة الصغيرة (الشكلان ٤٠، ٤١).
* إن هناك ساحات عديدة أمام المباني الحديثة في وسط المدينة – وبين فراغات المباني – دون أي استغلال فني، كما أن للبعض منها ميزات خاصة كالساحة بجوار دوار المسجد بحي شرق بوسط المدينة (الشكل ٤٢)، التي ألفتها أسراب الحمام وأصبحت مهبطاً ومحطاً لها. مثل هذا الملمح نحرص – نحن الشرقيين – على رصده في الساحات الأوروبية والتقاط الصور التذكارية له. فهل للحمام الأوروبي جاذبية تفوق الحمام العربي؟ إنه بقليل من الجهد في إحياء مثل هذه الساحات وتأثيثها بعمل فني راق أو نافورة مياه حديثة أو تبليطها بأسلوب فني حديث؛ ما يكفي لجذب الانتباه والشهرة لها.
* إن كثيراً من الأعمال الفنية في ميادين الكويت لم يعد مواكباً للاتجاهات الفنية العصرية وهي جميعاً تشترك – سواء الناجح منها والمتواضع – في توسط أحجامها، بل الميل إلى الصغر، ولا يكاد يوجد عمل فني واحد في ساحة أو ميدان يمكن أن يوصف بضخامة الكتلة أو الجاذبية. والميادين الشاسعة المساحة التي تتناثر في أحياء الكويت لا يشغلها أي عمل يتناسب مع حجم هذه الميادين واتساعها.

نماذج من دول الخليج:

جدة – السعودية:

الاهتمام بتجميل المدينة العربية أصبح واضحاً في كثير من المدن، وأصبحت ترصد له الجوائز من قبل المنظمات العربية (محمد الصقر وآخرون، ٢٠٠٣: ٣٥)، وتعد جدة من أبرز بلاد دول مجلس التعاون التي لها جهود مشهودة ليس في مجال تجميل الميادين والساحات فحسب وإنما في مجالات

عديدة تتضافر كلها للارتقاء بالمدينة، ومن ذلك سياسة الحفاظ على جدة القديمة ببيوتها العربية التقليدية والاهتمام "بالكورنيش" الممتد بطول المدينة وتنسيقه بالأعمال الفنية عالية المستوى، والنافورات الضخمة في وسط البحر، والحدائق العديدة وسياسة التشجير بوجه عام (موسى الخليفي، ١٩٩٤: ١٤٤).

وفي مجال التجميل بالأعمال الفنية كان التخطيط لهذه العملية تخطيطاً جيداً صائباً منذ بدايته؛ إذ قامت بلدية المدينة باستخدام الأعمال الفنية لعدة فنانين عالميين لتجميل ميادينها وساحاتها، منهم الفنان العالمي "هنري مور" الذي ينتهج منهجاً تجريدياً في أعماله بعيداً عن التشخيص والتمثيل؛ مما يتناسب مع العقيدة الإسلامية وتحفظاتها ومن الفنانين العرب الفنان صلاح عبدالكريم، المصري الجنسية، الذي ينتهج المنهج نفسه، وإن كانت تكويناته من خامة الحديد وتعتمد على بقايا "الخردة" وأعمال اللحام (محمد سعيد فارسي، ١٩٨٩: ٣٠).

وأجمل ما في تجربة جدة ثراؤها وتنوعها بين كبير الحجم وصغيره؛ بين ما هو وظيفي وما هو جمالي، وما هو جاد وصارم في خطوطه، وما هو ترفيهي لاعب؛ مما يعكس فهماً للتطور العالمي في أفكار تجميل المدينة، كما يعكس فهماً لطبيعة المكان الذي يتم تجميله من حيث يكون العمل الفني متلائماً مع المكان حجماً وأداء.

(الشكل ٤٣) العمل الفني يحتل مساحة دائرية ضخمة على طريق (الكورنيش) وهو يمثل موجتين ضخمتين تحملان سفينتين، اللافت في العمل هو طرافة الفكرة، وليونة خطوطها، والجرأة في حجم العمل، واختيار الموقع المناسب له.

(الشكل ٤٤) يمثل طائرة بحجم كبير تحلق فوق بعض السحب على قاعدة دائرية كبيرة تتناسب مع حجم العمل.

(الشكل ٤٥) ثلاثة أقواس تحمل ثلاث سيارات، ومرة أخرى، فحجم العمل ضخم ويحمل موضوعاً غير تقليدي وإن كان له أشباه في بعض المدن العالمية،

والفكرة طريفة وتلفت نظر المارة وتجذب انتباههم، وتضفي عليهم شعوراً من المرح والراحة.

وعلى النهج نفسه فالدراجة في (الشكل ٤٦) قصد بها أن تكون أكبر دراجة في العالم، على نحو ما هو مبين في الجزء الظاهر من التعليق المكتوب بالشكل، ولنا أن نتصور منظرها اللافت في الفضاء نهاراً وجذاباً بأنواره في الليل.

الملاحظة الطريفة أن كل وسائل المواصلات تحولت في جدة إلى أعمال فنية ضخمة: سفن وطائرات وسيارات ودراجات. وبلغ الحد بالتجريب والتنويع في تجربة جدة إلى حد الانزلاق إلى مواضيع دخيلة على البيئة العربية، مثال هذا الساري الطوطمي الذي لا تخطئ العين الفنية معالمه، وإن استبدلت بوجوه الكهنة والأقنعة الإفريقية فيه بعض القدور والأواني المحلية (الشكل ٤٧). ومثل هذا التنوع والخروج على المألوف وعلى الأشكال الرصينة التقليدية يعد إنجازاً في حد ذاته في محيطنا العربي، ويضفي ثراءً على تجربة تجميل الميادين، ويحتسب سابقة لمدينة جدة وإن كان عليها بعض الملاحظات التي ستأتي لاحقاً.

دبي – الإمارات:

ومن دبي يتضح في (الشكل ٤٨) الدراية والبراعة في تناسب العمل وضخامته مع حجم الميدان ومساحته.. مجموعة من المنحنيات الرقيقة تتجمع في قمة تنتهي بساعة سمي الميدان باسمها، ومن أسفل العمل نافورات المياه والإضاءة الجذابة ليلاً.

مسقط – عمان:

وعن تقدير مساحة الساحة وضخامة العمل الفني وتناسب حجمه مع المساحة المتاحة فكل التقدير لميدان الساعة في "مسقط" عاصمة سلطنة عمان؛ هذه هي الساحة وهذا هو حجم العمل المناسب لها. ساحة فسيحة تليق بعاصمة دولة وعمل فني لا يقل ارتفاعه عن ثلاثين متراً ليس معلماً إرشادياً "Land Mark" على الساحة فحسب وإنما على المدينة والسلطنة ذاتها (الشكل ٤٩).

الدوحة – قطر:

(الشكل ٥٠) عمل فني ناجح من البيئة لمحارة كبيرة تحضن لؤلؤة لامعة في إخراج فني رائع.

المنامة – البحرين:

(الشكل ٥١) تكوين تجريدي بديع لشراعين كبيرين يحتضنان لؤلؤة. العمل كله من اللون الأبيض الذي يضفي هدوءاً وسلاماً على المنطقة، ويتمازج مع لون السماء والبحر من ورائه.

تعقيب على تجربة دول الخليج:

إن ما عرضه الباحث من أمثلة لتجميل المدن في الخليج لهو قليل من كثير – يضيق عن عرضه مجال البحث – ولكنها أمثلة كافية للتدليل على أن بعض مدن الخليج قد قطعت شوطاً محموداً في هذا المجال بيد أن هناك ملحوظتين يود الباحث أن يبديهما:

* ذلك الخليط الكمي الذي يحوي كل الأشكال من غير وضوح خط ما أو رؤية فنية تربطها بعضها ببعض؛ مما ينم عن أن التجربة الخليجية مازالت في مرحلة التجريب، أو فلنقل "المحاكاة والإبهار" بنماذجها الكبيرة المفرطة في الحجم أو ذات الأفكار المراد بها الإثارة وهي تثير الإعجاب فعلاً ولكن إلى حين ما. وتلك التجارب تبشر بالوصول إلى مرحلة أنضج فنياً تتضح فيها شخصية محلية وعالمية في الوقت ذاته.
* إن جل النماذج المعروضة سواء من الخليج أو الكويت تستخدم مواد وتقنيات تقليدية من طوب وخرسانة وسيراميك ورخام في إخراج نمطي مألوف، في الوقت الذي يبتكر العالم الغربي أنماطاً فنية وخامات جديدة.

بعض إشكالات تجميل المدينة:

توظيف التراث في تجميل الميادين:

بعد أن استعرض الباحث تجربة الكويت في تجميل الميادين والساحات،

التي يتميز بعضها بالنجاح وبعضها بالتواضع، وتجارب دول التعاون، التي منها بعض الأعمال المتميزة المنسجمة مع الاتجاهات العصرية الحديثة، يود التعرض لإشكاليتين تعترضان أحياناً موضوع تجميل الميادين والمدينة العربية بصفة عامة وفي دول الخليج خاصة، وهما إشكاليتا توظيف عناصر التراث في الأعمال الفنية والتحرج من عمل التماثيل للمحاذير الدينية.

إذا عدنا إلى ميادين الكويت ومناطقها المفتوحة فإننا نجد عدداً لا بأس به يتجمل بموضوعات تراثية. "دلال" القهوة "وقدور" الماء، وهي من أبرز العناصر التراثية وأكثرها شيوعاً في الاستخدام ليس في الكويت فحسب وإنما في جميع دول التعاون بلا استثناء وبلا حصر حتى ليظن المرء ألا نهاية لهذه القدور والدلال وأن معين القهوة لا ينضب (الشكل ٥٢). مسقط (الشكل ٥٣)، دبي (الشكل ٥٤)، قطر (الشكل ٥٥). هل فرغت جعبة عناصر التراث إلا من هذه الأشكال؟ ألم تبلغ هذه الظاهرة بعد حد الكفاية؛ بحيث نتجه لمواضيع وتنويعات أخرى؟. لقد بلغ الحد بالبعض إلى التهكم الصريح على هذه الظاهرة بالعديد من الكتابات الموجعة ونعت هذا الاتجاه بـ " ثقافة مجسمات المواعين " (فهد محمد السالم، ٢٠٠٦: ٧).

لقد ناقش الباحث قضية التراث الفني العربي وتوظيف عناصره في تجميل المدينة في بحث سابق، كما ناقش الخلفية الفلسفية والفكرية في موقف الحداثة من التراث بوجه عام وساق بعض آراء المفكرين في هذا الشأن، منهم د. جمال حمدان (جمال حمدان، ١٩٩٣: ١٨٢)، ود. زكي نجيب محمود (زكي نجيب، ١٩٩٣: ٥)، اللذان يتخذان موقفاً من التراث – قد يتفق معهما فيه كثير من الباحثين – يمكن تلخيصه في نقاط محدودة، من أهمها: أن التراث هو الرابط الذي يربط بين الأجيال وإن موات التراث وحياته، رهن بفاعليته واستمرار عناصره ومدى صلاحيتها للاستخدام في الأزمان المتعاقبة بتقنياتها وفاعليتها. أما تلك غير الصالحة وغير الفعالة فحسبها أن ترصد كذكرى وتاريخ، كل في موضعه وأن هناك كثيراً من عناصر التراث مما يحتاج إلى الأقلمة والتطوير ليشارك بفعالية وثراء في الأداء العصري.

وإذا طبقنا هذه الخلاصات على عناصر التجميل التراثية في بلدان الخليج العربي ومدنه فإن علينا أن نختار منها ما يصلح في الموضع المناسب والزمن المناسب وبالكم والكيف المناسبين – فهل تصلح القناديل والمباخر والمعطرات والقدور والأواني ودلال القهوة أن تكبر بهذا الشكل ويصل بعضها إلى أحجام مبالغ فيها؟ وإن كان ذلك جائزاً في بدايات تجربة التجميل، أما آن لهذه الظاهرة أن تصل إلى حد التشبع، ونلتفت إلى مواضيع الحداثة وتجارب أكثر تطوراً في هذا الشأن؟ إن هناك من عناصر التراث ما يصلح لأن يكون عملاً فنياً في المناطق المفتوحة، ومنها ما يصلح لأن يوظف في مكان أقل حجماً، ومنها ما يصلح لأن يكون أعمالاً تشكيلية ذات بعدين أو في مطبوعات أو إعلانات، ومنها ما لا يصلح إلا أن يكون قيد المتاحف، ومنها ما لا يصلح لأن يوظف إلا بعد تطوير خطوطه وإخراج التنويعات والتفعيلات العصرية من شكله.

إن مثل هذا الانتقاد لا يعد مصادرة على التراث وعلى مفهوم إحيائه وتوظيفه وإنما على تطبيقاته غيرالملائمة. إن هناك كثيراً من الأمثلة المستخدم فيها عناصر تراثية في المناطق المفتوحة موضوع هذه الدراسة وبنجاح واضح، مثال ذلك (الشكل ٥٦)، وهو لمجسم صغير لواجهة بيت تقليدي كويتي لا يحتل ميداناً فسيحاً ولا ساحة رحبة وإنما مدخل طريق بحي الروضة؛ هذا توظيف مناسب لموضوع مناسب في المكان المناسب. ومن البحرين مثال آخر ناجح لمنظر رعوي أليف في البيئة العربية (الشكل ٥٧).

التشخيص أو التماثيل وتجميل المدينة الخليجية:

سيحاول الباحث أن يدلف إلى هذه الإشكالية بإيجاز شديد واضعاً في اعتباره ألا تتعدى ملامسته لهذه الإشكالية حدود علاقتها بموضوع دراسته، وأن ينأى بالدراسة عن مناقشة المحاذير الدينية في موضوع عمل التماثيل؛ لأن مثل هذا الأمر له أهله من العلماء الأجلاء أهل الاختصاص وموضعه غير هذا الموضع.

وبإيجاز، فإنه وإن كان هناك في معظم بلاد الخليج حذر واضح في عدم

تمثيل الأشخاص أو الكائنات الحية في أعمال تجميل المدن فإن هذا الحذر ليس مبرراً لأي قصور في عملية التجميل، ولا يمكن أن يمثل عائقاً أمام الأفكار المبدعة. وإن الاتجاهات المعاصرة في تصميم الأعمال الفنية أصبحت تميل إلى الأشكال المجردة البسيطة ولا تميل إلى عمل التماثيل التشخيصية. وإن كانت هناك نسبة ضئيلة مازالت تنفذ هذه التماثيل، فإنه يتم إخراجها بأسلوب إحدى المدارس الفنية الحديثة كالتجريدية أو التكعيبية أو السريالية، ومن ثم فدائماً ما تكون أشخاصها غير واقعية أو تمثيلية (Archer, M. 1997: 145). مثال ذلك (الشكل ٥٨) الذي يمثل أشخاصاً مصنعة من براميل معدنية بسيطة ترقص فوق سطح نافورة مياه وملونة باللون الأحمر الجذاب الذي يؤكد ديناميكية الحركة في التكوين، ويتضاد مع زرقة السماء والماء.

ومثال آخر من مهرجان النحت (العربي) الذي أقيم في عام ٢٠٠١ بمدينة "عاليه"، البلدة اللبنانية، وقد تبنته منظمة "اليونسكو"، وكانت كل أعماله تجريدية ولاقى نجاحاً كبيراً، وقد اشترك فيه سبعون فناناً عربياً وعالمياً، بينما تكون العادة في مثل هذه المهرجانات ألا يزيد المشتركون على ٥ – ٨ فنانين. والمثال تمثال مجرد لجزء من جسم إنساني في تشكيل بديع لا يعطي تمثيلاً مباشراً للجسم الإنساني قدرما يعطي أبعاداً تشكيلية وخطوطاً انسيابية وعلاقات فنية جميلة في الفراغ (الشكل ٥٩) (غسان سمان، ٢٠٠١: ٣٠).

وحتى إن مثلت بعض الأشكال في صورة طبيعية فالاتجاه الحديث أن تكون في موضوعات طريفة أو بأسلوب يبعدها عن التمجيد أو التعظيم، ومثال لذلك العديد من الأشكال التي تجمل بعض الأماكن المفتوحة في اليابان، وهي البلد الذي يعد موقفها متحفظاً في تمثيل الأشخاص مثلما هو الحال في بلادنا الشرقية، لكننا نراهم يصورون هؤلاء الأشخاص في حركات لاعبة أو تماثيل للأطفال أو ما يشابهها (الشكلان ٦٠، ٦١) (Sato, M. 1992: 118).

إن التنوع الذي لا حصر له الآن وعلى مستوى العالم في الأفكار والتكوينات والخامات والمدارس الفنية لم يعد يؤثر عليه حضور التماثيل من

عدمه إلا من باب الإضافة الجميلة ومزيد من التنوع، وإن غيابه في الخليج ليس بهذا الأمر المحسوس وليس هو بالعامل المؤثر في تقييم التجربة الخليجية بالإيجاب أو السلب، وإنما هناك العوامل الأخرى الأكثر تأثيراً على نوعية الأداء ومستواه.

النصب التذكاري لدولة الكويت:

في السابع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٩٨٩ أعرب أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد – طيب الله ثراه – عن رغبته في إقامة نصب تذكاري لدولة الكويت؛ يكون ممثلاً لواقع الكويت ومعلماً بارزاً من معالمها لكن بمقر جمعية المهندسين الكويتية، التي وضعت على عاتقها التخطيط لهذا العمل، لكن توقف الإعداد له في الثاني من أغسطس سنة ١٩٩٠ بسبب الغزو الغاشم للكويت. وبمجرد أن انتهت محنة الغزو استأنفت الجمعية العمل في المشروع وقامت بإعداد دراسة وتصور له وفقاً للمستجدات الجديدة بعد الغزو، ثم طرحت مسابقة فنية لتصميم النصب، تقدم إليها ٤٤ مهندساً معمارياً و٥١ فناناً و٥ مهندسي ديكور و٦ طلاب، وتم قبول ٤٢ عملاً فنياً من قبل ٢٧ متسابقاً (مؤيد الرشيد وآخرون، ١٩٩٢: ٦٢).

وقد أسفرت نتائج المسابقة، عن فوز الفنان "مساعد الفهد" بالجائزة الأولى (الشكل ٦٢). وباستعراض بعض الأعمال الأخرى التي تم قبولها في المسابقة ونالت سبق النشر في مجلة المهندسين قد تثار بعض الإشكالات الخاصة بأهمية النصب التذكاري والعمل الفني وتجميل المدينة.

(الشكل ٦٣) يمثل نصباً تذكارياً مكوناً من ثلاث دلات قهوة (مرة أخرى) كل دلة منها – على حد قول مصمم العمل – تمثل فندقاً!!. أين التصورالهندسي لهذا العمل؟ أو أين حتى الرسومات المبدئية "الاسكتشات" التي توضح العلاقة بين ما يقال وما نرى؟.

المشروع الثاني (الشكل ٦٤)، من تصميم فنانة تقدمت به على أنه نصب ومتحف!!. التصميم –على حد وصف المصممة – يتمثل في خوذة ترمز إلى

الجيش العراقي المندحر وهي جسم المتحف، والبلطة ترمز إلى المقاومة الكويتية، والعلم يرمز إلى الشعب الكويتي!!.

وعلى كل فإن مشروع النصب التذكاري لم ير النور ولم يدخل حيز التنفيذ. وإذا كان مستوى نتائج هذه المسابقة أو مشكلات حالت دون أن يرى هذا المشروع النور فإن الشأن المعماري الكويتي بوجه عام لم يخل من كثير من المشكلات التي علق عليها أحد المعماريين الأكاديميين – بقسم العمارة بجامعة الكويت – تحت عنوان: الفشل المعماري والحضري في الخليج العربي، ما الأسباب ؟ ما الحلول؟:

"لماذا فشلت مجتمعات الخليج العربي على مدى ما يقارب خمسة عقود من الثراء المادي النسبي في بناء مدن متناسقة تكوينياً ومتزنة"، وأرجع ذلك إلى الأسباب التالية:

١ – ضعف الثقافة الفلسفية والجمالية عند الإنسان الخليجي العربي.

٢ – هيمنة النزعة المادية لدى الفرد والمجتمع الخليجي العربي المعاصر.

٣ – ضعف علاقة الإنسان الخليجي العربي بالطبيعة.

٤ – عدم أهلية أصحاب القرار المعماري والحضري تقنياً وفكرياً لرسم خريطة العمارة في المدينة والخليج العربي.

ثم يردف: "إن أصحاب القرار في الشؤون المعمارية والحضارية في البلاد هم أشخاص لا يفقهون أبسط مبادئ العمارة والتخطيط الحضري أو الفنون التشكيلية. أشخاص غير متذوقين للفن وعاجزون عن رؤية دوره الرئيسي في رقي المجتمع، عينوا في هذه المناصب لقربهم من أصحاب القرار السياسي في البلاد" (عبدالمطلب البلام ٢٠٠٧: ٣٨).

النصب والأعمال التذكارية:

تنتقل الدراسة من موضوع النصب الكويتي إلى النصب والعمل التذكاري بوجه عام لما له من أهمية بالغة في تأثيث الساحات والميادين الكبرى في المدن وتجميلها، ونظراً لأهميته الشديدة كعمل فني رمزي من المفترض أن يكون من

أرفع الأعمال الفنية أداء وأجلها رسالة. النصب التذكاري هو منشأ يقام لتخليد ذكرى حدث أو شخص أو معنى قومي أو فكرة فلسفية أو تقليد اجتماعي أو ما شابه، وقد يقام كمعلم إرشادي " Landmark " لمدينة أو موقع مهم جغرافي أو تاريخي، وتختلف أحجامه وخاماته وأسلوب تشييده وطرازه الفني تبعاً للغرض من إقامته وتبعاً لثقافة البيئة المحيطة به. وإلى جانب الوظيفة التذكارية للنصب فإنه لابد أن يتمتع – من الناحية الفنية – بالجمال ويحقق الرسالة التي من شأنها قد أنشئ؛ فهو عمل رمزي ومن قبل ذلك فهو عمل فني بالدرجة الأولى. وعلى قدر ما يعبر النصب عن الاتجاه الفني في زمن إنشائه على قدر ما تكون حداثته وتطوره الفني، وعلى قدر ما يعبر عن الرسالة التي أنشئ من أجلها على قدر ما تكون جدارته وأهميته. ونظراً للأهمية الشديدة للنصب التذكاري من الناحية الرمزية والتاريخية والجمالية فقد أصبح من المتعارف عليه أن تكون هناك عدة معايير واعتبارات لابد من توافرها في النصب، منها:

* التعبير عن المواطنين والوطن والرسالة المنشأ من أجلها؛ فالنصب هو تلخيص لقضية ما يشترك فيها هؤلاء المواطنون، ومن ثم، فلابد أن يكون رمزاً معبراً عن هذه القضية أو الفكرة.
* أن يحمل إشارات تعبر عن البيئة المحلية سواء في الأشكال أو الخامات أو الفكرة الفنية.
* أن يعبر في الوقت نفسه عن العصر ويستخدم أدواته ويواكب المدارس الفنية الحديثة.
* أن يكون مقاوماً للظروف الطبيعية والمناخية؛ حيث إنه منشأ في الفراغ ومعرض لمختلف الظروف، ومن ثم فإن المواد المستخدمة في تشييده لابد من أن تراعي هذه الظروف (مؤيد الرشيد وآخرون، ١٩٩٢: ٣٩).

(الشكل ٦٥) صرح الشهيد في دمشق وهو نموذج ناجح وبليغ لما يجب أن يكون عليه النصب الذي يخلد ذكرى ما ويجسد معنى يرتبط به الشعب. عقد عظيم من تراث الفن الإسلامي في داخل إطار ضخم ينطلق من قاعدة تضيق

كلما ذهب ارتفاعاً في السماء وينتهي بخط مقعر يقابل بالعاطفة السماء بدلاً من الانتهاء بخط أفقي حاد ينقطع عنده اللقاء. ويحتضن العقد خوذة الجندي يحيط بها طراز (شريط) من الكتابات القرآنية. والخوذة مرتكزة على قاعدة مربعة في لون داكن يوحي بالهيبة ويوهم بارتفاع الخوذة عن الأرض. ومن براعة هذا التكوين البسيط المكون من عنصرين فقط – كتلة كروية ومستوى رأسي يتعامد عليها – أنه مرئي ومقدر من جميع الزوايا أماماً وخلفاً وعلى الجانبين. أما الساحة فشاسعة المساحة حتى تهيئ للقادم مسافة كافية لتقدير العمل عن بعد. وتتدرج الساحة ارتفاعاً بعدة مستويات ومدارج لمزيد من إعطاء العمل الرفعة والتقدير.

والغريب أن الكويت تمتلئ بالفنانين الذين يمكن انتخاب بعض من أعمالهم مما يتميز بالأصالة والإبداع، وتصلح لمثل هذا الغرض الجليل أو توجيههم وتحفيزهم لإنتاجه. وإننا لنجد أمثلة صالحة – عن غير توجه – لمثل هذا المشروع من مهرجان النحت نفسه الذي سبق الإشارة إليه؛ مهرجان "عاليه" الذي أقيم عام ٢٠٠١، بل من فنانة كويتية اشتركت في هذا المهرجان وهي الفنانة "جميلة جوهر". والعمل النحتي (الشكل ٦٦) يجمع بين تجريد الشكل وحداثته وبساطة الكتلة وأصالة عناصره التراثية المحفورة على وجهيه، وإننا يمكن أن نتصوره شاهداً ضخماً أو نصباً تذكارياً لشهداء محنة الغزو.

خاتمة:

حاول الباحث فيما سبق بيانه أن يستعرض موضوع تجميل المدن من جوانب عدة، وأن يقدم لموضوعه بالرجوع إلى الأدبيات الخاصة به من حيث الفرق بين جمال المدن وتجميلها؛ التخصصات التي تشارك في تجميل المدينة؛ علاقة تخصص الباحث وهو التصميم الداخلي (الديكور) والفنون التشكيلية بوجه عام بموضوع الدراسة؛ العناصر الرئيسية والثانوية في تجميل المدن؛ تعريف الساحة والميدان، ثم عرج إلى عرض استقرائي لتجارب بعض الدول الأجنبية في هذا المجال ودول خليجية في الجوار، وركز – بدراسة ميدانية –

على تجربة الكويت في تجميل الميادين؛ مما قاد الدراسة والباحث إلى عدة نتائج وتوصيات، الهدف منها تحفيز الأداء في تجميل ساحات الكويت وميادينها، والارتقاء بها إلى المستوى الذي يليق بمكانة الكويت وإمكاناتها، وبيان تلك النتائج والتوصيات فيما يلي.

نتائج الدراسة:

* إن العالم الغربي قد قطع شوطاً بعيداً في إخراج الأفكار المبدعة في تجميل الميادين والساحات وفي تنوع مدارسها الفنية المختلفة وفي التقنيات الحديثة واستخدام المواد الجديدة، ومن ثم فإن علينا أن نواكب هذا التطور ليس بالمحاكاة والنقل الحرفي وإنما باستيعاب منهج التطور وأساليبه ومزجها بالعناصر المحلية لنعبر عن بيئتنا وفي الوقت نفسه عن عالميتنا.

* إن هناك نماذج ناجحة من الأعمال الفنية التراثية التي تجمل ميادين الكويت، ولكن هناك نماذج أكثر تواضعاً في المستوى وخاصة تلك التي كررت موضوعاتها أو تزيد في كمها المعروض عن الأعمال المعاصرة والمطلوبة.

* إن معظم ميادين الكويت شاغرة تماماً من أي عمل فني؛ مما يعكس انطباعاً بأنه ليس هناك استيعاب بعد لأهمية الرسالة التي تؤديها في نشر الوعي الجمالي وإحساس المواطن بجمال بيئته ومن ثم تعزيز حبه للوطن.

* إن ميادين وسط المدينة – على قلة عددها – تستحق التفاتة لتأثيثها بأفضل الأعمال الفنية لتكون مظهراً معبراً عن جمال المدينة، وإن إشغال الميادين ببعض الأشجار أو النخيل قد يكون مقبولاً لعدد محدود من الميادين، أما أن يصبح ظاهرة من باب ملء الفراغ، ونظراً "لفراغ البديل" فهذا أمر يحتاج للمراجعة.

التوصيات:

- إن الميادين والساحات من أهم مناطق التجميل في المدينة نظراً للعبور الكثيف بها من المواطنين أو الزائرين، ومن ثم فإنه لابد من العناية بها، وتجميلها بالأعمال الفنية، وتنويع الخدمات والنشاطات التي تقدمها لمستخدميها، وتجميل واجهات المباني المطلة عليها وتوفير أثاث الشارع المناسب لها.
- إن السلطات المحلية – وعلى رأسها البلدية – لها دور أساسي في عملية تجميل المدينة بصفة عامة، ومن ثم، لابد أن يوجد فيها هيئة أو إدارة مستقلة خاصة بأعمال التجميل يناط بها سن اللوائح والتشريعات التي تضع المعايير والأسس لرفع كفاءة العمل الفني.
- إن المسابقات الهندسية والفنية والمحكمة خارجياً هي من الوسائل المقترحة للحصول على الأعمال الفنية الناجحة لتجميل المدينة، ولا بأس من إشراك بعض الخبرات الأجنبية في هذا الأمر، وإن للنقابات والجمعيات المتخصصة دوراً مهماً في هذا الشأن، وعليها أن تضطلع فيه بأكبر قدر من المسؤولية والحرفية.
- لابد من نشر ثقافة التجميل لدى العامة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وتحفيز الأفراد على تأسيس الجمعيات الأهلية التي تهتم بموضوعات البيئة والتجميل، ومن ثم يكون هناك نوع من التعاون بين الأفراد والسلطات في رعاية سياسة جمالية للمدينة.

المراجع

أولاً – المراجع العربية:

- بلدية الكويت. (٢٠٠٧). إدارة المساحة والخرائط. الكويت.
- حمدان، جمال. (١٩٩٣). **شخصية مصر. دراسة في عبقرية المكان.** كتاب الهلال. القاهرة.
- محمود، زكي نجيب. (١٩٩٣). **تجديد الفكر العربي.** دار الشروق: القاهرة. الطبعة التاسعة.
- البلام، عبدالمطلب. (٢٠٠٧). **الفشل المعماري والحضري في الخليج العربي: ما هي الأسباب؟ وما هي الحلول؟** مجلة عمار. العدد ١٠٦. الكويت.
- سمان، غسان. (٢٠٠١). **عاليه: حيوية مدينة، سيمبوزيوم ٢٠٠١. حضور الفن في المدينة.** مجلة المدينة العربية. العدد ١٠٤. منظمة المدن العربية. الكويت.
- الشعبي، فادي عبدالكريم. (١٩٩٣). **دور البلدية في التخطيط لمدينة جميلة وبيئة سليمة.** مجلة المدينة العربية. العدد ٥٧. منظمة المدن العربية. الكويت.
- حيدر، فاروق عباس. (١٩٩٤). **تخطيط المدن والقرى.** الطبعة الأولى. مركز الدلتا للطباعة: الإسكندرية.
- السلمان، فهد محمد. (٢٠٠٦). **تجميل المدن وثقافة مجسمات المواعين.** جريدة الرياض. العدد ١٣٨٥٧. الرياض. السعودية
- فارسي، محمد سعيد. (١٩٨٩). **قصة الفن في جدة.** دار البلاد للطباعة والنشر: جدة. السعودية.
- الخرس، محمد علي والعقروفة، مريم راشد. (٢٠٠٠). **البيت الكويتي القديم.** الطبعة الثانية. مركز البحوث والدراسات الكويتية. الكويت.

- مركز الدراسات التخطيطية والعمرانية. (١٩٨٦). **الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن**. دار الشروق: القاهرة.
- الرشيد، مؤيد وآخرون. (١٩٩٢). **النصب التذكاري**. مجلة المهندسون. جمعية المهندسين الكويتيين. الكويت.
- الخليفي، موسى. (١٩٩٤). **التراث المعماري في المدن الخليجية**. دراسات وأبحاث. ندوة الحفاظ على التراث الخليجية المميز. الدوحة. قطر.
- ستينو، ماهر. والمصري، ليلى. (١٩٩١). **الساحات العمرانية – الفراغ المفقود في مدينة القاهرة**. عالم البناء. العدد ١٢٥. القاهرة.
- الصقر، محمد وآخرون. (٢٠٠٣). **جوائز الدورة السابعة: تخضير وتجميل المدن**. مجلة المدينة العربية. منظمة المدن العربية. الكويت.
- الصقر، محمد وآخرون. (٢٠٠٦). **جائزة منظمة المدن العربية**. مجلة المدينة العربية. العدد ١٢٨. منظمة المدن العربية. الكويت.

ثانياً – المراجع الأجنبية:

- Archer, M. (1997). **Art Since 1960**, Themes and Hudson, London.
- Cerver, F.A. (1997). **Redesigning City Squares and Plazas**, Arco for Hearts Books International, New York.
- Heggemann, W.& Peets, E. (1992). **The American Virtuous An Architect's Hand Book of Civic Art**, Benjamin Blom, New York.
- Lyall, S. (1992). **Designing the New Landscape**, Thames & Hudson Ltd., London.
- Mangus, D. (1973). **Kunsgt & Natur Lands Chaften**, Goethe institute and German Commission for Unesco.
- Olsen, D.J. (1986). **The City As A Work Of Art**, London. Paris. Vienna, Yale University Press, New Haven And London.
- Sato, M. (1992). **Community Design, Elements of Modern Environmental Landscape and Design, Graphic**- Sha Publishing Co. ltd. Japan.
- www.tfhrc.gov/pubrds/fall95/p95a41.htm 3.3.2007
- www.design.iastate.edu/FILEDIR/la.pdf

الأشكال

الشكل (١)

الشكل (٢)

الشكل (٣)

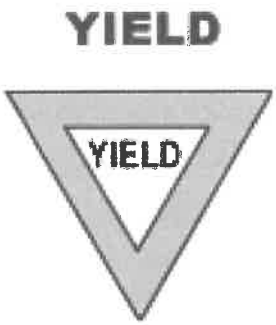

الشكل (٤)

الشكل (٥)

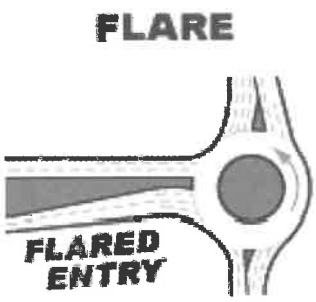

الشكل (٦)

(الشكل ٧)

(الشكل ٨)

(الشكل ٩)

(الشكل ١٠)

(الشكل ١١)

(الشكل ١٢)

الشكل (١٣)

الشكل (١٤)

الشكل (١٥)

الشكل (١٦)

الشكل (١٧)

الشكل (١٨)

الشكل (١٩)

الشكل (٢٠)

الشكل (٢١)

الشكل (٢٢)

الشكل (٢٣)

الشكل (٢٤)

الشكل (٢٥)

الشكل (٢٦)

الشكل (٢٧)

الشكل (٢٨)

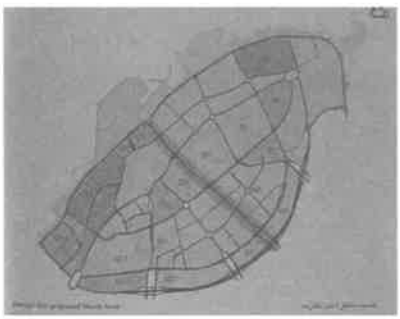

الشكل (٢٩)

الشكل (٣٠)

الشكل (٣١)

الشكل (٣٢)

الشكل (٣٣)

الشكل (٣٤)

الشكل (٣٥)

الشكل (٣٦)

الشكل (٣٧)

الشكل (٣٨)

الشكل (٣٩)

الشكل (٤٠)

الشكل (٤١)

الشكل (٤٢)

الشكل (٤٣)

الشكل (٤٤)

الشكل (٤٥)

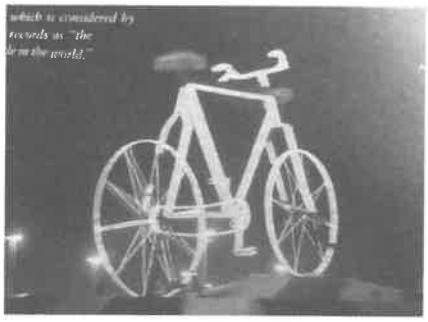

الشكل (٤٦)

الشكل (٤٧)

الشكل (٤٨)

الشكل (٤٩)

الشكل (٥٠)

الشكل (٥١)

الشكل (٥٢)

الشكل (٥٣)

الشكل (٥٤)

الشكل (٥٥)

الشكل (٥٦)

الشكل (٥٧)

الشكل (٥٨)

الشكل (٥٩)

الشكل (٦١)

الشكل (٦٠)

الشكل (٦٢)

الشكل (٦٤)

الشكل (٦٣)

الشكل (٦٦)

الشكل (٦٥)